الشروع في مسيرة مجيدة وواعدة

كان عام ٢٠٢٢ عاما استثنائيا بكل معنى الكلمة.

ففي الفترة من ١٦ إلى ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٢، عُقد المؤتمر الوطني العشرون للحزب الشيوعي الصيني بنجاح في بكين. وكان مؤتمرا ذا أهمية بالغة، انعقد في وقت حاسم، مما مكن الصين من الشروع في مسار جديد حافل بالمجد والأحلام.

وقال شي جين بينغ، الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، في التقرير المقدم إلى المؤتمر الوطني العشرين للحزب الشيوعي الصيني "اعتبارا من هذا اليوم فصاعدا، ستتمثل المهمة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في قيادة الشعب الصيني من جميع القوميات لبذل جهود متضافرة لتحقيق الهدف المئوي الثاني المتمثل في بناء الصين لتصبح دولة اشتراكية حديثة عظيمة على نحو شامل، وتعزيز نهضة الأمة الصينية على جميع الجبهات عبر مسار التحديث الصيني النمط".

لخص التقرير العمل الذي أنجز خلال السنوات الخمس الماضية والتحولات العظيمة التي تحققت في العصر الجديد خلال العقد الماضي، وناقش القضايا الكبرى المتعلقة بفتح آفاق جديدة لتكييف الماركسية مع السياق الصيني واحتياجات العصر، وأوضح خصائص التحديث الصيني النمط. كما وضع إطارا للعمل في مجالات التنمية الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية وبناء الحضارة الإيكولوجية، وأكد على ضرورة التمسك بالقيادة الشاملة للحزب وممارسة الحوكمة الذاتية الشاملة والصارمة للحزب.

مسيرة جديدة

بعد أقل من أسبوع على اختتام المؤتمر الوطني العشرين للحزب الشيوعي الصيني، قاد شي

الأعضاء المنتخبين حديثا في اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة المركزية العشرين للحزب إلى يانآن في مقاطعة شنشي لتقديم التحية للأرض المقدسة للثورة الصينية وإظهار عزم القيادة الجديدة على مواصلة الإرث الثوري للحزب وتحقيق النتائج على امتداد المسيرة الجديدة.

قال شي "يجب على جميع أعضاء الحزب أن يحملوا قدما روح الاعتماد على الذات والعمل الجاد، والتي لا يمكن التخلي عنها أبدا بغض النظر عن مدى رفاهيتنا في المستقبل، كما يجب عليهم أيضا العمل بجد بطريقة عملية وواقعية للتركيز على إدارة شؤوننا الخاصة بشكل جيد ودعم تنمية بلدنا وأمتنا بقوتنا الخاصة".

وفي قرية نانغو، زار شي بستانا للتعرف على حصاد التفاح وتطور قطاع إنتاج التفاح المحلية. وقال "حققت الصين الهدف المئوي الأول المتمثل في بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل، وتم حل مشكلة الفقر المدقع، ويتمتع القرويون الآن بظروف معيشية جيدة، لكن يجب علينا مواصلة العمل الجاد وجعل حياتنا أفضل".

في بداية عام ٢٠٢٢، تم تشكيل فريق صياغة الوثائق الخاص بالمؤتمر الوطني العشرين للحزب برئاسة شي.

وأكد بوضوح أن صياغة التقرير يجب أن تتناول بشكل شامل الفرص والمهام والمراحل والمتطلبات والتحديات الإستراتيجية الجديدة التي تواجه تنمية الصين.

وخلال جولات تفقدية مكثفة قام بها في أنحاء الصين بين أبريل وأغسطس، طرح شي سلسلة من المقترحات المهمة للمستقبل، من بينها بناء موانئ تجارة حرة ذات خصائص صينية، واستكشاف محركات نمو جديدة، وتعزيز التنمية الإقليمية المنسقة.

المضي قدما معا عبر الصعاب

في ٤ فبراير ٢٠٢٢، أقيم حفل افتتاح دورة الألعاب الأولمبية الشتوية في بكين.

وباعتبارها أول حدث رياضي عالمي شامل يعقد في موعده منذ تفشى جائحة كوفيد-١٩، أوفت دورة بكين للألعاب الأولمبية الشتوية والألعاب البارالمبية الشتوية، والتي تميزت بروعتها، بالالتزام الرسمي للصين تجاه المجتمع الدولي.

ورغم التحديات الناجمة عن مكافحة الجائحة، بالإضافة إلى البيئة الداخلية والخارجية

المعقدة والصعبة، حافظت لجنة الحزب المركزية ونواتها الرفيق شي جين بينغ، بثبات على المبادرة الإستراتيجية في معركتها ضد كوفيد-١٩، وضمنت سلامة وصحة الشعب إلى أقصى حد وبذلت قصارى جهدها لتسهيل الإنتاج والاستثمار.

وانطلاقا من وعي عميق بالمخاطر المحتملة وبصيرة إستراتيجية، طرح شي نهجا شاملا للأمن الوطني، مؤكدا على ضرورة مراعاة الاعتبارات الداخلية والدولية معا وإعطاء الأولوية لكل من التنمية والأمن.

ويعد الأمن الغذائي أولوية قصوى بالنسبة لعملية الحوكمة في البلاد.

وخلال "الدورتين السنويتين" للهيئة التشريعية الوطنية والهيئة الاستشارية السياسية العليا، حث شي على عدم التراخي في قضية الأمن الغذائي.

وفي أبريل، قام بجولة تفقدية في هاينان، وكانت محطته الأولى زيارة مختبر بذور خليج ياتشو في سانيا، حيث أكد مجددا أن موارد البذور يجب أن تكون "في أيدينا بحزم" لضمان الأمن الغذائي.

وشدّد شي على الاعتماد الذاتي والتحسين الذاتي في مجال العلوم والتكنولوجيا، داعيا إلى زيادة الإنتاج المحلي للطاقة وضمان أمن إمدادات الفحم.

وقال "مهما حدث من تغيرات في المشهد الدولي، يجب علينا التركيز بثبات على تحقيق أهدافنا الخاصة، ومواصلة تعزيز أسسنا الاقتصادية، وتقوية قدرات الابتكار العلمي والتكنولوجي، وتحسين القوة الوطنية الشاملة".

وفي هذا العام، ترأس شي الاجتماع الحادي عشر للجنة المركزية للشؤون المالية والاقتصادية، حيث جرى وضع ترتيبات إستراتيجية مهمة لتعزيز تطوير مرافق البنية التحتية.

وطرحت البلاد أو نفذت ترتيبات إستراتيجية أخرى، بما في ذلك وثيقة حول بناء سوق وطنية موحدة بهدف زيادة تحفيز حيوية مختلف كيانات الأعمال عبر تحسين نظام اقتصاد السوق الاشتراكي، وخطة عمل لبناء نظام سوق عالي المستوى لإزالة العقبات المؤسسية التي تعيق التوزيع القائم على السوق لعوامل الإنتاج وتداول السلع والخدمات، وخطة طويلة الأجل لتوسيع الطلب المحلي.

وحدد التقرير المقدم إلى المؤتمر الوطني العشرين للحزب الشيوعي الصيني "الالتزام بالفلسفة التنموية المتمحورة حول الشعب" كأحد المبادئ الخمسة الكبرى التي يجب التمسك بها بحزم.

وفي خطابه خلال الجلسة الافتراضية للمنتدى الاقتصادي العالمي لعام ٢٠٢٢، قال شي "بغض النظر عن الصعوبات التي نواجهها، يجب أن نلتزم بالفلسفة التنموية المتمحورة حول الشعب".

وفي ١٣ يوليو ٢٠٢٢، زار شي أحد المجتمعات السكنية في أورومتشي بمنطقة شينجيانغ الويغورية ذاتية الحكم، حيث التقى بكبار السن من السكان وتمنى لهم "سعادة دائمة في حياتهم".

وبعد أكثر من شهر بقليل، وخلال زيارة إلى حي مودان السكني في مدينة شنيانغ بمقاطعة لياونينغ، استفسر مرة أخرى عن أوضاع المسنين والأطفال، مؤكدا على ضرورة أن تواكب خدمات رعاية المسنين الاحتياجات الاجتماعية المتغيرة، مع تعزيز رعاية الأطفال وتعليمهم.

وخلال جولته التفقدية في مقاطعة سيتشوان، قام شي بزيارة خاصة إلى جامعة يبين، حيث أطلع على احتياجات الشركات للتوظيف ومعدلات توظيف الطلاب.

وفي الأشهر الأحد عشر الأولى من عام ٢٠٢٢، تم توفير ١١,٤٥ مليون وظيفة حضرية جديدة، وهو ما تجاوز الهدف السنوي البالغ ١١ مليونا؛ وارتفع الناتج الصناعي ذو القيمة المضافة بنسبة ٣,٨ في المائة على أساس سنوي، ونما إجمالي واردات وصادرات السلع بنسبة ٨,٦ في المائة؛ وفي ظل ضغوط تضخمية عالمية مرتفعة، زاد مؤشر أسعار المستهلك في الصين بنسبة معتدلة بلغت اثنين في المائة على أساس سنوي؛ كما بقي إنتاج الحبوب فوق مستوى ٦٥٠ مليار كيلوغرام للعام الثامن على التوالي، ومن المتوقع أن يتجاوز إجمالي الناتج الاقتصادي للعام ١٢٠ تريليون يوان.

الصمود أمام اختبار الزمن

في المؤتمر الوطني العشرين للحزب الشيوعي الصيني، قال شي إن الحوكمة الذاتية الكاملة والصارمة مسعى لا يتوقف، وإن الإصلاح الذاتي رحلة لا نهاية لها. وأضاف "يجب ألا نتراخى في جهودنا أبدا، وألا نسمح لأنفسنا أبدا بأن نصاب بالإرهاق أو الانكسار".

وبعد ثلاثة أيام فقط من اختتام المؤتمر الوطني العشرين للحزب الشيوعي الصيني، ترأس شي اجتماعا للمكتب السياسي لدراسة ووضع ترتيبات لتنفيذ توجيهات المؤتمر. وكان من البنود المهمة على جدول أعمال الاجتماع مراجعة اللوائح التفصيلية لتنفيذ قرار "الضوابط الثمانية" لتحسين السلوك الصادر عن المكتب السياسي.

وقال "بصفتنا الحزب الماركسي الحاكم الأكبر في العالم، يجب أن نظل دائما في حالة يقظة وعزم على مواجهة التحديات الخاصة التي تواجه حزبا كبيرا مثل حزبنا، وذلك للحفاظ على دعم الشعب وترسيخ موقعنا كحزب حاكم على المدى الطويل".

وقد صدرت لوائح لمعالجة قضايا مثل تقاعس الكوادر وسوء أدائها. ومن خلال هذه الإجراءات، شكلت لجنة الحزب المركزية فريقا من الكوادر القادرين على تحمل مسؤوليات العصر وفق معايير عالية ومتطلبات صارمة.

وخلال فترة يانآن (١٩٣٥-١٩٤٨) للحزب الشيوعي الصيني، وردا على سؤال حول كيفية كسر الدورة التاريخية لصعود الحكومات وسقوطها، قدم ماو تسي تونغ أول إجابة للحزب - وضع الحكومة تحت رقابة الشعب.

ومنذ المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني في عام ٢٠١٢، ومن خلال ممارسة الحوكمة الذاتية الكاملة والصارمة، قدمت لجنة الحزب المركزية ونواتها الرفيق شي جين بينغ، الإجابة الثانية عن هذا السؤال وهي تنفيذ الإصلاح الذاتي.

وفي ١٧ يونيو ٢٠٢٢، أجرى المكتب السياسي للجنة المركزية التاسعة عشرة للحزب الشيوعي الصيني دراسته الجماعية الأربعين، التي ركزت على ضمان ألا يجرؤ المسؤولون على الفساد، وألا يكونوا قادرين عليه، وألا يرغبوا فيه.

وحذر شي الحزب بأكمله من أن المعركة ضد الفساد شديدة التعقيد والصعوبة، ولا مجال فيها لأدنى قدر من التسوية أو التنازل.

وقال شي أثناء القيام بجولة تفقدية إلى قرية ماونا بمدينة ووتشيشان في مقاطعة هاينان في أبريل ٢٠٢٢ "ليس للحزب مصالح خاصة به، ولا ينبغي أن يكون لكوادر الحزب القيادية مصالحها الخاصة أيضا".

العمل من أجل الخير المشترك

قال شي خلال لقائه بالصحفيين في ٢٣ أكتوبر ٢٠٢٢ بعد انتخابه أمينا عاما "لا يمكن للصين التطور بمعزل عن بقية العالم؛ كما يحتاج العالم إلى الصين لتحقيق الرخاء العالمي".

ومع تأكيده على ضرورة الوحدة وتضافر الجهود، رفع شي عاليا راية مجتمع المستقبل

المشترك وبث الثقة والقوة في عالم مضطرب ومتغير.

في أوائل فبراير ٢٠٢٢، استقبل ضيوفا دوليين كانوا في بكين لحضور حفل افتتاح دورة الألعاب الأولمبية الشتوية. وخلال لقائه بالأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، استخدم شي استعارة السفينة لتشارك آرائه حول الاتجاه العالمي.

وقال "في مواجهة مختلف التحديات العالمية الملحّة، لا يمكن للبشرية أن تنعم بمستقبل أفضل إلا من خلال تعزيز التضامن والتعاون والصعود معا على 'سفينة نوح' للعصر الجديد".

وفي هذا العام، قاد شي البلاد لاستضافة دورة بكين للألعاب الأولمبية الشتوية والألعاب البارالمبية الشتوية بنجاح، موجها إلى شعوب العالم الدعوة الدافئة تحت شعار "معا من أجل مستقبل مشترك".

وفي منتدى بوآو الآسيوي، طرح للمرة الأولى مبادرة الأمن العالمية، مقدما منفعة عامة عالمية لمعالجة القصور الأمني وهي خطوة حظيت بترحيب ودعم من أكثر من ٧٠ دولة.

ومع التركيز على التنمية المستدامة للبشرية، دعا شي إلى بناء مستقبل مشترك لجميع أشكال الحياة على الأرض، ما أسهم في تحقيق نتائج بارزة للاجتماع الخامس عشر لمؤتمر الأطراف في اتفاقية التنوع البيولوجي.

وفي أواخر يونيو، استضاف شي الحوار رفيع المستوى حول التنمية العالمية، الذي شاركت فيه العديد من دول الأسواق الناشئة والدول النامية. وخلال الاجتماع، أعلن شي عن سلسلة من الإجراءات الكبرى لتنفيذ مبادرة التنمية العالمية ودفع أجندة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠.

وفي مواجهة رياح معاكسة غير مسبوقة في قضية التنمية العالمية، دعا شي إلى إعطاء الأولوية لتنمية جميع البلدان، خاصة البلدان النامية، من أجل بناء توافق أوسع وحشد قدر أكبر من التآزر، بما يعزز نموذجا تنمويا يتسم بالشمول والتوازن والتنسيق ويعود بالربح على الجميع ويسهم في تحقيق الرخاء المشترك.

وقد أيدت المبادرة أكثر من ١٠٠ دولة والعديد من المنظمات الدولية بما فيها الأمم المتحدة، وانضمت ما يقرب من ٧٠ دولة إلى مجموعة أصدقاء مبادرة التنمية العالمية.

وتحت قيادة شي، نقلت الصين إلى العالم الصدق والعزم على توفير فرص جديدة من خلال تنميتها الخاصة.

وواصلت الصين انفتاحها من خلال استضافة فعاليات مثل معرض الاستيراد ومعرض

كانتون والمعرض الدولي لتجارة الخدمات والمعرض الدولي للمنتجات الاستهلاكية. كما خففت قيود دخول الاستثمار الأجنبي، وتعمل باستمرار على تحسين بيئة الأعمال. وقد تحققت نتائج جديدة في التعاون الخاص بمبادرة الحزام والطريق.

في هذا العام، عقد رئيسا الصين والولايات المتحدة أول لقاء حضوري منذ ثلاث سنوات؛ وحافظ رئيسا الصين وروسيا على التواصل بوسائل متنوعة؛ وأجرى قادة الصين وأوروبا اتصالات هاتفية واجتماعات متكررة؛ وتم اتخاذ خطوات مطردة في بناء مجتمع المستقبل المشترك مع الدول المجاورة؛ وتقدم التضامن والتعاون مع الدول النامية بإطراد.

من خلال أقوال الصين، والأهم من ذلك أفعالها، أدرك الناس بشكل عميق أن التحديث الصيني النمط ليس تكرارا لصعود القوى العظمى التقليدية، ولا نسخة مكررة من الفكرة القائلة بأن "البلد القوي لا بد أن يسعى إلى الهيمنة". بل هو مسار قويم يعود بالنفع على الصين والعالم.

وقال شي "على الرغم من أن هذا العصر مليء بالتحديات، فإنه أيضا عصر يفيض بالأمل. والشعب الصيني مستعد للعمل يدا بيد مع شعوب العالم لخلق مستقبل أكثر إشراقا للبشرية".